ظواهر أسلوبية في السلام على يحيى وعيسى (عليهما السلام) في سورة مريم

د. سحر فتحى حجازي
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب – جامعة حلوان

Stylistic phenomena in the peace upon yahia and Eissa peace be upon them In Surat Mariam

The subject of the research is around the two verses of peace upon yahia and Eissa peace

be upon them, in Surat Mariam, the main and direct aim of the research is to study and analyze the style values of the two verses of peace, based on their pivotal importance as they closed the narrative of the stories of yahia and Eissa peace in Surat Mariam by detecting the extent of constancy and transformation in using the rules of the language while being aware of the characteristics of the Arabic language in general, and specially the language of Quran, and this is done by studying some stylistic phenomena which are:

The phenomenon of deviation, building the verb which its doer is not named, the antithesis, coupling, repeating, and the phonetic phenomenon, the study aims to contribute in reading what is behind the surface of the text of the hidden significance and connecting the two verses and the pivot of the Sura of Mariam in order to read the extent of the homogeneity and harmony of the Quranic text.

Key words: the two verses of peace – stylistic – deviation – repeating – sound

ظواهر أسلوبية في السلام على يحيى وعيسى (عليهما السلام) في سورة مريم

يدور موضوع البحث حول آيتي التسليم على يحيى وعيسى، عليهما السلام، في سورة مريم، حيث يهدف البحث بشكل رئيس ومباشر إلى دراسة وتحليل القيم الأسلوبية في آيتي السلام، انطلاقا من محوريتهما، إذ أقفلتا المبنى الحكائي لقصتي يحيى وعيسى، عليهما السلام، في سور ة مريم، وذلك من خلال رصد قدر الثبوت أو الانزياح في استعمال قواعد اللغة، إدراكا لخصائص اللغة بوجه عام ولغة القرآن على وجه الخصوص. ويتم ذلك من خلال دراسة عدة ظواهر أسلوبية وهي: الانزياح (العدول)، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله، والطباق، والعطف، والتكرار، ثم الظاهرة الصوتية ممثلة في درس إيقاع المقاطع وجرس الأصوات في الآيتين، إضافة إلى إيقاع التعريف والتنكير. حيث سعت الدراسة إلى قراءة الضمني والمخبوء الذي يتوارى خلف السطح في الآيتين، والربط بين الآيتين ومحور سورة مريم ربطا يسعى إلى قراءة قدر ما يتمتع به النص القرآني من قيم الاتساق والتماسك.

الكلمات المفتاحية: آيتا السلام – الأسلوبية – الانزياح – التكرار – الصوت

ظواهر أسلوبية في السلام على يحيى وعيسى (عليهما السلام) في سورة مريم

تعتمد هذه الدراسة المسلك الإجرائي في مقاربة النص القرآني، حيث تدرج آيتا السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، في سورة مريم، في إطار قضية (التوحيد) بالكشف عن درجات الاقتدار الإلهي، وعناية الخالق بالمخلوق.

وقد لوحظ من خلال تأمل وضعية الآيتين، اللتين أقفلتا المبنى الحكائي لقصتي يحيى وعيسى، عليهما السلام، في سورة مريم، أنهما من أهم محطات الإقناع العقلي والتوجيه الذهني في أمر عبودية عيسى، عليه السلام، وإخلاص الألوهية للخالق، وأن السلام على يحيى، عليه السلام، هو خاتمة مراحل التكريم والمن الرباني على هذا النبي، بإظهار قدر كفالة الرب لعبده.

إن آيتي السلام تكريس للون من الحجج التجريبية، اعتمادا على وقائع عملية تتملاها العين ويدركها الحس، والتي هي من أقوى أدلة الإقناع والتسليم، ذلك أن الوقائع بكونها ثابتة لا مرية فيها، فهي صالحة لتأسيس نقطة من قبل الفرد يتجاوب عبرها مع ما يفرض نفسه على سائر الخلق.

وقد ارتكزت الدراسة على الأسلوبية ومنهجها الذي يسعى إلى الكشف عن قوانين الإبداع في النص متعدد المعاني، إفادة من الاتجاه اللساني والمنهج البنيوي في دراسة النصوص، حيث تركز النظرية الأسلوبية " على الظاهرة الألسنية – وهي جوهر الكلام – تدرس مبادئ الجماليات المعقولة لشكل الكلام " [1]، وعلى ذلك فإن دراسة الظاهرة اللغوية في بنيتي السلام على مستوى الأسلوب، تتيح فرصة البحث في مساهمة الآيتين في القيمة الجمالية للنص.

يقوم البحث بتحديد الأطر الفنية والأساليب اللغوية في بنيتي السلام من خلال دراسة اللغة، وتقدير مدى الثبوت أو الانزياح في استعمالاتها، إدراكا لخصائصها المميزة، ومدى قدرتها على بلورة المقاصد. انطلاقا من كون النص القرآني بناء لغويا متفردا متكاملا، يقوم على تفجير طاقات اللغة، ومدها بإضافات جديدة من داخلها، إذ يقصد بالكلمات والعبارات إلى بعث صور إيحائية، تعكس المعنى التصويري في اللغة. وذلك ما يبدو من خلال دراسة الظواهر الآتية:

أولا: ظاهرة الانزياح.
ثانياً: ظاهرة البناء لما لم يسم فاعله.
ثالثا: ظاهرة الطباق.
رابعا: ظاهرة العطف.
خامسا: ظاهرة التكرار.
سادسا: الظاهرة الصوتية.

أولا: ظاهرة الانزياح

جاء في لسان العرب "زاح الشيء يزيح زيحا وزيوحا وزيحانا وانزاح ذهب وتباعد"[2].

ويرتبط المعنى الاصطلاحي للانزياح بعلم الأسلوب، ويعني الخروج عن أصول اللغة وإعطاء الكلمات أبعادا دلالية غير متوقعة " [٣].

ويعد الانزياح النموذج الأمثل للأسلوبية، بحيث جعله بعضهم مقياسا لتحديد الخاصية الأسلوبية، ووسيلة تعيين لدرجة عمقها، ذلك أن الأسلوبية تحلل استخدام عناصر اللغة، وما يمكن من كشف ذلك الاستخدام هو الانحراف الأسلوبي الفردي وما ينتج من انزياح عن الاستعمال المألوف، بغية شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية لها وقعها الخاص على المتلقي.

والناظر إلى النص القرآني يدرك درجات متفاوتة من ألوان الانزياح عن مألوف القوالب والأساليب: " ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كف عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ... ومجاز المقدم والمؤخر" [٤]، فالمجاز المرصود هنا في النص القرآني هو لون عدول في الكلام، وأساليب التعبير، وطرق الصياغة، وخلق أساليب لم تجر بها الأنماط اللغوية.

ويشمل الانزياح أجزاء كثيفة متعددة من النص، حيث ينقسم إلى لونين رئيسين تنطوي ضمنهما جل أشكال الانزياح، اللون الأول منهما يتعلق فيه الانزياح بجوهر المادة اللغوية وهو الانزياح الاستبدالي، واللون الآخريتعلق بالسياق أو تراكيب العبارات ويسمى الانزياح التركيبي.

الانزياح الاستبدالي (الدلالي - التصويري)

تخرج الألفاظ عن نمطها المعتاد، وتبارح الكلمات دائرة منطقيتها، وتعرض عن معناها، وتلبس من المعاني الأخرى، ما يدخلها في دائرة الاستبدال الذي يصرف نظر المتلقي بعيدا عن الدلالات المرجعية للكلمات، يقول الجرجاني: " الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل "[٥]. فالألفاظ تتعرض إلى نوع من الانزياح يبعدها عن معناها الظاهر، ويكسبها معنى جديدا، وهذا النوع من الانزياح الدلالي يكون مباشرة في اللغة، من خلال مخالفة منطقها، والنزوح بها إلى منطقة الغرابة والدهشة.

الصورة الكنائية في بنيتي السلام

قال ابن منظور: "الكناية أن تتكلم بالشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه " [٦]، وهي مصدر كنى يكنو، أو كنى يكني، والكنو أو الكنى معناه: الستر، أي ستر الاسم الدال على المعنى المراد التعبير عنه بغيره.

ويلتقي المعنى الاصطلاحي للكناية بالمعنى اللغوي لها. يقول عبد القاهر الجرجاني في معنى الكناية:" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه " [٧].

فالكناية، على هذا، لون من الانزياح الأسلوبي الدلالي في النص، يكشف عن قدرته على جمع طرفي العملية الإبداعية تحت سقف ثقافي واحد بتجاوز المستوى السطحي للقراءة، إلى

المستوى العميق، فالكناية بنية ثنائية الإنتاج، تضع المتلقي في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي مواز له تماما، ومن خلال حركة الذهن يتم الربط بين اللوازم والملزومات، وإذا لم يتحقق تجاوز المستوى السطحي فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة ... وهو ما يؤكد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز، إذ لا يمكن الميل بها إلى دائرة الحقيقة لتستقل بها، لأن الصياغة لم تنتج معناها فحسب، بل أنتجت لازما مرافقا لها، كما لا يمكن أن تستقل بها دائرة المجاز لعدم وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي"(٨).

وعلى ذلك فبنية الكناية تفترض صراعا بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي يرشحه السياق، ولذا قيل في الكناية إنها "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"(٩). حيث تقوم الكناية بين طرفين أحدهما حاضر هو اللفظ الذي تنطلق منه سلسلة التوليد، والآخر غائب هو المدلول أو المكنى عنه "وبينهما وسائط تقل وتكثر حسب المسافة الفاصلة بين الطرفين"(١٠).

ولهذا تعد الكناية انزياحا دلاليا ينتقل فيه المرسل من المدلول الحقيقي للفظ إلى المدلول الكنائي لعلاقة بين المدلولين، هذه العلاقة هي علاقة التلازم بين المعنى الدال عليه ظاهر اللفظ، والمعنى الضمني المراد فيه.

وتحمل الكناية في النص القرآني لطائف وأسرارا، وهي من التعبيرات الثرية بالاعتبارات والمزايا والملاحظات البلاغية، حيث يتم توظيفها في البيان القرآني تحقيقا لعدة مقاصد.

وقد استثمر السياق في السلام على يحيى وعيسى، الأسلوب الكنائي، حيث الكناية هي الصورة الحاضرة المهيمنة على بنيتي السلام، فسلام الله على يحيى في حالات الولادة والموت والبعث كناية على أنه "بمحل العناية الإلهية في هذه الأحوال" (١١)، وسلام عيسى على نفسه في هذه الحالات "كناية عن تكريم الله عبده بالثناء عليه في الملأ الأعلى وبالأمر بكرامته" (١٢).

والصياغة بالكناية تقصد إلى المبالغة في إظهار قدر العناية بالنبيين وتكريمهما، حيث تعود إفادة المبالغة إلى التوابع التي عبر بها عن المكنى عنه، والتي غدت كالأدلة والبراهين على تحقيق المعنى وإثباته.

وجواز إرادة المعنى الأصلي للسلام قائم في الآيتين، فسلام عليه "أمان من الله عليه"(١٣)، وقيل: "أي: سلامة له" (١٤)، "والسلام اسم للكلام الذي يفاتح به الزائر والراحل فيه ثناء ودعاء وسمي ذلك سلاما لأنه يشتمل على الدعاء بالسلامة" (١٥).

على أن التعبير القرآني في الآيتين يتخطى دال السلامة ومدلول العناية والتكريم، حيث تبطن الكناية بمنهجية الربوبية والعبودية التي انتظمت آيات سورة مريم.

ففي الصورة الكنائية في الآيتين تم استثمار فنون التقابل بين: ولد/يموت، يموت/يبعث حيا، ولدت / أموت، أموت / أبعث حيا، للإيحاء بديمومة السلام. وذلك حيث شكلت كلمة "سلام"

نسقا رئيسا في الأيام الثلاثة: الولادة، الموت، البعث. وقد تركزت عليها المعاني التي أفرزتها الكناية في صورتها الكاملة:

والكناية إذا كان مرتكزها الضوئي كلمة " سلام "فإن هذه الكلمة تستدعي في ثناياها منظومة الربوبية والعبودية، التي تحمل بدلالة الرحمة التي تواترت على مدار النص كله فبدأ بـ "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا" [آية:٢]، وجاء في خواتيمه "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا "[آية:٩٦]، وما يتخلل الآيات من تفصيل لنعم الله المتوالية التي أغدقها سبحانه على خلص عبيده.

تبطن الكناية بمنهجية الربوبية والعبودية، إذ السلام فيها ارتكاز على حول الله وقوته، وتبري عن الأسباب الظاهرة، لتؤدي الكناية من خلال هذه المنهجية وظيفة أسلوبية أنتجها المنطق الدلالي بما يوحي به من لوازم معنوية، فتحمل الكناية، في سلام المسيح على نفسه، في ثناياها تصديقا ضمنيا على عبودية كاملة للمسيح انطلاقا من كون الرب هو المتكفل بمصلحة الموجودات، وهو مظهر الرحمة والخلق والقدرة والتدبر والحكمة، فهو الشامل لما سواه تعالى، فإنهم المربوبون له تعالى على اختلاف مراتبهم" [١٦].

وتقترن الكناية في السلام على عيسى، عليه السلام، بالتعريض الذي يعرف بكونه "المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"[١٧]، فهو المعنى المتحقق حين يطلق الكلام، ولا يراد به ظاهره، وإنما يشار به إلى معنى آخر يفهم من خلال السياق، أو"من جهة التلويح والإشارة"[١٨].

ففي السلام على عيسى، تعريض، إذ تنتقل بؤرة الدلالة من المعنى الخاص إلى المعنى العام، فيأتي السلام تعريضا منه، عليه السلام، في هذا المقام باللعنة على متهمي مريم - عليها السلام - وأعدائها من اليهود" [١٩]، الذين اتهموها بالزنا، فكأنه، عليه السلام، حين يقول: السلام علي، يعرض بأن ضده - أي اللعنة - عليهم " ونظيره قوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا التعريض" [٢٠].

الانزياح التركيبي

هذا اللون من الانزياح قادر على خرق قوانين اللغة ومعاييرها بعناية فائقة، ليغدو النص بنية شمولية تتجاذبها ظواهر لغوية عديدة. فالانحرافات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية عندما تخرج عن قواعد النظم والتركيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات"[٢١]، وذلك لأن الإبداع الحقيقي يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جماليا بما يتجاوز أطرها المألوفة.

ويقع هذا الانزياح في الروابط القائمة بين المدلولات في تركيب واحد أو مجموعة من التراكيب، فكل تركيب يتنافى ومعيارية اللغة، وأصول الجملة المعهودة هو انزياح تركيبي. حيث يعد انزياحا بتأثير الفجائية التي تخلق قيمة جمالية، وبغيرها لم يكن يوجد انزياح مهما تغيرت التراكيب. وتحت هذا اللون من الانزياح تندرج أبواب عديدة، نقف منها، تبعا لبنيتي التسليم، لدى بابي: الالتفات، والتعريف والتنكير.

(أ) الالتفات

في معجم العين: لفت اللفت لي الشيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته، قال رؤبة:

يقتصـــل القصل بنـــاب حـــداد ولفـــت كســـار العظـــام خضـــاد[٢٢]

واللفت والفتل واحد ولفت فلانا عن رأيه أي صرفه عنه، ومنه الالتفات"[٢٣]، وذكرالسيوطي في حقيقة الالتفات أنه "نقل الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل لا يصلح النفس إن كانت منصرفة إلا التنقل من حال إلى حال" [٢٤].

وقد عد الالتفات أحد مباحث علم المعاني، نظرا لقيمته التعبيرية في العملية الإبداعية، وإن عده بعض البلاغيين ضمن أبواب علم البديع، ربما لما يضمن من ثنائية واضحة، فهو في حقيقته يعتمد على حركة الذهن وانتقالها من معنى إلى معنى، أو من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأسلوب الأول" [٢٥].

كما عد الالتفات ضمن مبحث المطابقة الذي أقامه النحويون واللغويون، وطبيعة هذه المطابقة بعلاقاتها السياقية تتمثل لغويا في العلامة الإعرابية، وفي الضمائر، وفي العدد، وفي النوع، كما تتمثل في التعيين، "وهذه المطابقات تمثل النسق اللغوي المثالي في الأداء، والذي من خلاله كان الالتفات ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك هذا النسق بانتقال الكلام من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، إلى غير ذلك من أنواع الالتفات" [٢٦].

ولعل أهم ما يميز الالتفات: الحركة والمفاجأة، إذ الالتفات "فن بديع من فنون القول يشبهه تحريك آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها، ومفاجأة المشاهد بلقطات منها متباعدات، لكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يراد عرض طائفة من مشاهده تدل على ما يقصد الإعلام به" [٢٧].

ومن صور الالتفات التحول بين صيغ الأفعال، ومن شأن هذا التحول أن يمنع الكلام من الجريان على وتيرة واحدة، ولذا فإنه ينطوي على منبهات أسلوبية تؤثر كثيرا في السياق، إذ إن هذا التباين في استخدام الأفعال يشي بنوع من التضاد على مستوى الخطاب.

في السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، تحول بالصيغة الفعلية من زمن الماضي إلى زمن المضارع، وهذا التحول إذا كان له ما يبرره في سياق حديث عيسى في المهد "يوم ولدت ويوم أموت"، فالأمر جد مختلف في سلام الله على يحيى، إذ يتحول الحديث عن صيغة الماضي "ولد" إلى صيغة المضارع "يموت".

وقد ورد هذا التحول في غضون الحكاية عن يحيى، عليه السلام، من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أى بعد وفاة يحيى، وحري بأفعال الحكاية عن الأحداث السالفة، التي وقعت بالفعل أن تأتي على نسق الماضي، فنحن ندرك أن الزمن الذي ينتظم حدثي الولادة والموت في بنية العمق هو الزمن الماضي، غير أن الفعل (يموت) بمضارعيته يمثل كسرا لمنطقية انتماء الحدث إلى الزمن الماضي، ويشكل اختراقا للمنظومة الزمنية، هذا الاختراق أسهم في تجاوز حاجز الرتابة، عن طريق تغيير الصيغة الفعلية، وولد بنية تراكمية، تخطت الفاعلية الزمنية، بما يستدعي توقفا للنظر في علة الانحراف والتحول في الصيغة الفعلية، لتبين الغرض الذي من أجله خالف الفعل "يموت" قوانين السياق التاريخي والجوار .

يقول السكاكي:"وإنه – أي العدول عن الماضي إلى المضارع – طريق للبلغاء لا يعدلون عنه إذا اقتضى المقام سلوكه " [٢٨]. ذلك أنه بفعل الدلالة الزمنية لصيغة المضارع على الحال والاستقبال، وبفعل ما يحمل المضارع من حركية وتجدد وقدرة على رسم مجريات الأحداث في تطورها وتدرجها، تغدو هذه الصيغة مؤهلة لاكتساب طاقات دلالية إضافية، وتأدية وظائف أسلوبية، لعل أكثرها خطورة حكاية الحال الماضية، هذه الوظيفة التي جعلت فندريس يسمي المضارع " المضارع التاريخي " ويقول عن هذه الوظيفة: "الماضي يمكن أن يعبر عنه الحاضر، وهو استعمال شائع في الحكاية " [٢٩].

يقول ابن عاشور في شأن التحول إلى المضارع " يموت": "وجيء بالفعل المضارع في "يوم يموت" لاستحضار الحالة التي مات فيها" [٣٠]. فقد عدل بالكلام عن صيغة الماضي إلى المضارع لتصوير حال موت يحيى، إذ يستحضرالمضارع الحدث فيفرض واقعا في زمن التكلم.

يقول ابن الأثير:" اعلم أن الفعل المستقبل إذا أوتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ... وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي"[٣١].

وينبه ابن الأثير على الفرق بين ما يتخيله السامع من الماضي وما يتخيله من المستقبل فيذكر أن " التخيل يقع في الفعلين معا، لكنه في أحدهما وهو المستقبل أوكد وأشد تخيلا، لأنه يستحضر صورة الفعل، حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها حال وجود الفعل منه " [٣٢].

ويفسر بعضهم حكاية الحال الماضية بأن المتكلم يقدر نفسه حاضرا فيما مضى فيعبرعن ذلك المعنى بصيغة الحضور وهي صيغة المضارع، لأنها تدل في الأصل على أن المعنى موجود حال التكلم وإنما يعتبر ذلك إذا كان ذلك المعنى فيه غرابة وإعجاب فيقصد إلى إحضاره ليتعجب منه بما يمكن وهو الصيغة " [٣٣].

فاستحضار الصورة على هذا النحو يصبح انتقالا للمتكلم إلى الماضي، حيث يعيش اللحظة الفريدة التي أنجز فيها حدث رائع، فهو لم يجذب الفعل الماضي إلى الزمن الحاضر، وإنما انتقل هو إلى الزمن الماضي، فبث فيه الحياة وجعله زمنا حاضرا قائما من حيث تلبسه به ومعالجته له.

وعلى ذلك فاستخدام المضارع "يموت" في الحكاية عن يحيى، تعبير عن الصددية، أي تصوير للأحداث بدقة متناهية، وهي بصدد الوقوع، أو كما لو كانت بصدد الوقوع، وهو إشارة إلى حالة فريدة غريبة تستدعى لتمثل أمام المتلقي بكل ما تفيض به من حيوية وإثارة وغرابة.

فإذا كان الماضي "ولد" قد منح الصورة في حدث الولادة قيمة إخبارية توثيقية، فإن المضارع في حدث الموت قد أضاف إلى هذه القيمة قيمة أخرى إيحائية تعبيرية تنويها بدرجة من الخصوصية لحقت بحدث الموت مما استدعى بعثه وإحياءه.

هذا البعث الخاص لحدث الموت واستحضاره وإدخاله في دائرة المشهدية الكاملة، وإظهار قدر الخصوصية فيه، هل يتفق مع حالة البشاعة التي صاحبت حادثة قتل يحيى، عليه السلام، التي أقرها أكثر أهل العلم والتفسير – متابعة لنصوص التوراة – إذ ذكروا أنه، عليه السلام، "قتل فما سلم بدنه"(٣٤)، أم أن هذه المشهدية التي يكرسها المضارع " يموت" هي نوع من الحضور الكلي لمشهد الموت، ينسجم مع دلالة كلمة "سلام" التي تتصدر جملة "يوم يموت" – في البنية العميقة للنص – فتغدو المضارعية انعكاسا لمشهد موت تستحضر جزئياته، فتبدو فيه حالة موت حف بالأمن والسلامة لمن تناوبت حياته المخاطر الجسيمة، وجللته نذر القتل والاغتيال، فيسفر الالتفات الزمني والمشهد عن قدر القدرة الربانية، وكمال التصديق لدعاء النبي زكريا "واجعله رب رضيا" [مريم:٦]، حيث تتناهى قدرة الله في حماية حياة من سماه "يحيى"، ولم يجعل له من قبل سميا ؟.

ليغدو الالتفات بالمضارع "يموت" إفصاحا عما سكت عنه النص القرآني في حدث موت يحيى، عليه السلام، فلم يذكره لا جملة ولا تفصيلا، خلافا لما ورد في شأن عيسى عليه السلام.

(ب)التعريف والتنكير

المعرفة خلاف النكرة، فالمعرفة هي " ما دلت على شيء بعينه " (٣٥)، بينما ينافي التنكير الاختصاص الذي يفيده التعريف، فالنكرة " ما دلت على شيء لا بعينه " (٣٦).

ولظاهرة التعريف والتنكير دور مهم في صحة كثير من تراكيب العربية، وإدراك وظائف العناصر اللغوية فيها. إلا أن البحث فيها شديد التعقيد، حيث تعددت حدود التعريف والتنكير، دون أن تجعل فاصلا جامعا مانعا بينهما، إذ "أكثر الناس في حدودهما، وليس فيها حد سالم" (٣٧).

وذلك حيث أنيطت وظائفهما البلاغية بالسياق، وما يستدل عليه منه ومن المقام. يقول أحمد بدوي في النكرة: "والنكرة بعدئذ تفيد معناها مطلقا من كل قيد، أما ما يذكره علماء البلاغة من معان استفيدت من النكرة، فإنها لم تفدها بطبيعتها، وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه، فكأنما المقام هو الذي يصف النكرة، ويحدد معناها" (٣٨).

وعلى ذلك فتوظيف الكلمة تنكيرا وتعريفا، يخضع لاعتبارات السياق النصي، حيث تتمتع الكلمة القرآنية بخصوصية الانتخاب والتوظيف، خلقا لدلالات معينة، ومدار ذلك شمولية النظرة إلى الصورة القرآنية التي تشكل المفردة بعض أجزائها.

وقد استوقف البلاغيين الغرض من تفاوت السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، تنكيرا وتعريفا، فذكروا لذلك أسبابا واستدلوا بذلك على أفضلية أحد السلامين على الآخر.

فقد نكر سبحانه سلامه على يحيى، فقال "وسلام عليه"، سلام مما يبتدأ به في النكرة لأنه اسم يكثر استعماله تقول: سلام عليك، والسلام عليك، وأسماء الأجناس يبدأ بها، لأن فائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها " [٣٩]... قيل: يريد سلام عليك مني في هذه الأيام، وقيل: سلامة له منا.

فلما كان سلام الله على يحيى سلام تحية من الله تعالى فقد نكره، وقد جرى التعبير القرآني على هذا السياق في تنكير لفظ السلام وتعريفه، فقد نكره في تحية الأنبياء والرسل، عليهم السلام، وعرفه في أماكن أخرى حيث كان لكل من التنكير والتعريف في النص القرآني، مقام كريم وسر عظيم، يقول تعالى: (سلام على إبراهيم) [الصافات:١٠٩]، (سلام على نوح في العالمين) [الصافات:٧٩]، (سلام على إل ياسين) [الصافات:١٣٠] . . .، وفي قصة يحيى عليه السلام . . . فقد ابتدأ الله تعالى بلفظ النكرة في كل هذه الآيات الشريفة، لأن [السلام] دعاء وطلب والعرب في ألفاظ الدعاء والطلب إنما يأتون بالنكرة إما مرفوعة على الابتداء أو منصوبة على المصدر" [٤٠].

سلام الله على يحيى، وارد من جهة الله تعالى، فلا يحتاج ما هو وارد من الله إلى تعريف لتعظيمه، فـ "سلام ماكان من جهة الله مغن عن كل تحية ... ومن ثم لم يرد السلام من جهة الله إلا منكرا " [٤١]، فالتنكير في (سلام) غرضه " التكثير والتفخيم والتعظيم، أي أن الله جعله مغمورا بالسلام المبارك في حياته كلها " [٤٢]، وذلك لأن المقام يدل على تعظيم هذا السلام الصادر من الله ويشير إليه، وقد ورد في سياق تعداد نعم الله على يحيى، وإخبار منه سبحانه بأنه قد منح يحيى سلاما كريما في مواطن ثلاثة. وهذا السلام المنكر مشعر بعموم التحية، وأنها غير مقصودة على المتكلم وحده، فأنت ترى أن قولك: سلام عليك، ليس بمنزلة قولك السلام عليك في العموم.

أما تعريف السلام، في شأن عيسى، عليه السلام، فقد جوز بعضهم توجيه اللام فيه للعهد بما يعني، فسلام عيسى كما هو على يحيى، فـ " قال بعضهم لام التعريف في السلام منصرف إلى ما تقدم من قصة يحيى عليه السلام من قوله (وسلام عليه) أي السلام الموجه إليه في المواطن الثلاثة موجه إلي أيضا " [٤٣]. وأنكر أكثرهم توجيه اللام فيه للعهد لانتفاء أمر الذكر أو الحضور في الذهن، يقول الألوسي: " والقول بأنه لتعريف العهد خلاف الظاهر بل غير صحيح لا لأن المعهود سلام يحيى عليه الصلاة والسلام وعينه لا يكون سلاما لعيسى عليه الصلاة والسلام لجواز أن يكون من قبيل (هذا الذي رزقنا من قبل) بل لأن هذا الكلام منقطع عن ذلك وجودا وسردا فيكون معهودا غير سابق لفظا ومعنى " [٤٤].

فالأرجح أن اللام في سلام عيسى للجنس، فقد قصد من التعريف التعميم والشمول والاستغراق لجنس السلام. حيث جئ بالسلام معرفا بأل الدالة على الجنس مبالغة في تعلق السلام به حتى كأن جنس السلام بأجمعه عليه. وهذا مؤذن بتفضيله على يحيى إذ قيل في شأنه (وسلام عليه...)، وذلك هو الفرق بين المعرف بلام الجنس وبين النكرة " [٤٥]، وعلى ذلك يكون تسليم

عيسى على نفسه، بما يعني " السلام كله على خاصة، فيكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال جنس السلام على خاصة، فقد عرض بأن ضده عليكم " (٤٦)

وسلام عيسى حاصل من جهة نفسه على جهة الدعاء، وهوإشعار بذكر الله، فإن عيسى عليه السلام، قصد في دعائه الرمز إلى ما اشتق منه اسم الله تعالى، إذ [السلام] اسم من أسمائه - سبحانه - مشتق من [السلامة]، وكل اسم من أسمائه - سبحانه - ناديته به. ففيه تعرض لما اشتق منه ذلك الاسم، وهو طلب السلامة " (٤٧). ومن ثم فقد اجتمعت في السلام على عيسى، بالتعريف، عدة فوائد لم تجتمع في السلام على يحيى، لاستغناء المواطن الثلاثة ليحيى عن ذلك، بينما عيسى محتاج لفوائد التعريف وأوكدها العموم والاستغراق.

ثانيا: ظاهرة البناء لما لم يسم فاعله (البناء للمجهول)

الفعل المبني للمجهول هو "الفعل الذي لم يسم فاعله، فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه، ولهذا يسمى الفعل المبني للمجهول، كما يطلق عليه ما لم يسم فاعله، لذا ينوب مفعوله عن فاعله"(٤٨).

والفاعل يحذف من الجملة لدواع يقتضيها المقام"بعضها لفظي كالرغبة في الاختصار، وكالمماثلة بين حركات الحروف الأخيرة في السجع ... وكالضرورة الشعرية. وبعضها معنوي كالجهل بالفاعل والخوف منه أو عليه ... وكإبهامه أو تعظيمه بعدم ذكر اسمه على الألسنة صيانة له، أوتحقيره بإهماله، وكعدم تعلق الغرض بذكره حين يكون الغرض المهم هو الفعل، وكشيوعه ومعرفته " (٤٩).

وتحمل مقامات الكلام وسياقاته دلالة تلك الأغراض التي تختلف من وضع لآخر، فليس الغرض دالا من حيث لفظته المفردة، ولكنه دال من خلال تعلق الألفاظ ببعضها.

وينبه توجيه الفعل المبني للمفعول في القرآن الكريم إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية، وأسس الإعراب الشكلية.

ففي آيتي السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، بنيت الأفعال: ولد/ ولدت، يبعث/ أبعث. للمفعول، وجاز نسب الفعلين: يموت/أموت إلى غير فاعلهما، وسمي في كل "فاعلا"، " ولم يحدث بنفسه الموت، وهو مفعول في المعنى " (٥٠). حيث تنفتح بنية الفعل المبني للمجهول على دلالة المطاوعة وتحقق استجابة المفعول لفعل الفاعل، وهذه الدلالة يفتقر إليها الفعل المبني للمعلوم الذي يحيل على دلالة قيام الفاعل بالفعل دون التعرض إلى موقف المفعول به، من حيث استجابته لفعل الفاعل، ومن حيث تحقق أثر الفعل الممارس فيه.

وبملحظ من هذا التفريق نستطيع مقاربة بنية العدول الصرفي في الآيتين، والتحول من صيغة البناء للمعلوم إلى صيغة البناء للمجهول، حيث تأتي بنية العدول في مقام إظهار درجة الاقتدار الرباني في أحداث الميلاد والموت والبعث، في إطار علاقة: الربوبية / العبودية، في سياق الحديث عن عظيم العناية الإلهية بالنبيين.

فقد غيب الفاعلان في حدثي الولادة، لما تقدم في سياق الآيات مما يؤدي إلى القطع بالفاعلين، وتمام العلم بهما، حتى غدا حذفهما من السياق لازمة أسلوبية، حيث أدى هذا الحذف إلى تسليط الضوء على الحدث بغض النظر عن محدثه، " قيل: إن الفعل إذا بني للمفعول لم يلزمه أن يكون ذلك للجهل بالفاعل بل ليعلم أن الفعل قد وقع به، فيكون المعنى هذا لا ذكر الفاعل"(٥١).

حيث تنصب عناية السياق على إظهار الحدث، وما يؤدي إليه ذلك من وضوح الاعتبارات الكاملة لبشرية يحيى وعيسى، عليهما السلام، على ما في التركيز على حدث الولادة دون محدثه من كشف عن دور الخالق سبحانه الذي دفع بيحيى إلى الحياة والوجود من أب شيخ وأم عجوز عقيم، كما دفع بعيسى إلى الوجود فولد من غير أب. ومن ثم فتغييب الفاعل في حدثي الولادة إشارة إلى التفرد والإعجازية، وتنويه بكمال القدرة الربانية وجلال شأن الخالق.

ويفضي التركيز على حدث الميلاد تلقائيا إلى حضور حدث الموت، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، كما يفضي ظهور حدث الموت بالتالي إلى حدث البعث. والله سبحانه موجود في حدث الميلاد، فاعل أصلي في حدث الموت، لا يقدر على البعث غيره، والبناء للمجهول وإن جعله غائبا عن الحضور اللغوي في حدث "البعث"، إلا أنه حاضر في حس المتلقي، يستشعر عظمته وقدرته الخفية الكامنة خارج مجال الإدراك القاصر، فهو الفاعل المتعين في نفسه، المستغني عن ذكره، الذي لا يذهب الوهم إلى غيره، للعلم بأن أفعاله لا يقدر عليها سواه وحده، قال الخفاجي: " إن الفاعل قد يترك ويبنى للمجهول لتعينه، لأن تلك الصفات لا تليق بغيره حقيقة أو ادعاء " (٥٢).

و يضيف العدول إلى صيغة المبني للمجهول قيمة في تصوير أحداث هذه المشاهد الغيبية التي غابت دقائقها عن المتلقي أو خفيت عن ذهنه وخياله، حيث تعمل الأساليب القرآنية في المشاهد الغيبية عملا حيا يساعد نفس المتلقي على تلقي كينونة المشهد بمعناه العميق، ليتدارك خياله ما قصرت عنه حواسه المادية " (٥٣).

فبناء الأفعال للمفعول إذ يركز على الحدث ومفعوله، فإنه يعمل في هذه الأحداث (الميلاد – الموت – البعث)، على استحضار المشاهد، والارتقاء بالصورة، ومنحها حياة شاخصة، وحركة متجددة، تجسيدا لنموذجين بشريين تجري عليهما المقادير الربانية اقتدارا وحفظا في هذه المواطن الثلاثة.

ثالثا: ظاهرة الطباق

الطباق في اللغة يعني التساوي، حيث تنحدر كلمة " طباق " من الماضي " طابق " بمعنى وافق.

ويرى حازم القرطاجني أن لفظ المطابقة مشتق إما من قولك: هذا طبق لهذا، أي مقدار له، لا يزيد عليه ولا ينقص. وإذا كانت حقيقة الطباق مقابلة الشيء بما هو على قدره سمي المتضادان إذا تقابلا، ولاءم أحدهما في الوضع الآخر متطابقين، قال الخليل: طابقت بين شيئين جمعتهما على حذو واحد وألصقتهما، وإما من قولك طابق الفرس إذا وضع رجلاه في موضع يده" (٥٤).

وينفي السجلماسي أن يكون في لفظ المطابقة - حسب الاستعمال الفصيح- اشتراك في دلالته، ويذهب إلى أن معناه في فصيح الكلام هو المنافرة والتضاد، وينكر من قال بغير ذلك، فيقول: "وليس لقائل أن يقول: إن اسم المطابقة والطباق، هو بمعنى الموافقة فيسوغ له - يعني في الاصطلاح البلاغي - بهذه الجهة ... لأنه قد تقرر أنه ليس من موضوع اللغة الأصيل " (٥٥).

وعلى ذلك فالطباق في اصطلاح أكثر البلاغيين يعني الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل بالتضاد أو الإيجاب والسلب، أو العدم والملكة، أو ما أشبه ذلك، وسواء كان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا" (٥٦).

وقد جمع السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، الثنائيات الضدية: ولد/ يموت، ولدت/ أموت، يموت/ يبعث حيا، أموت/ أبعث حيا. وهذه الثنائيات الضدية تحوي تقابلا ظرفيا يعكس تفاوت الأحوال البشرية، عبر لون من الطباق يسير في مجرى تصاعدي مركب، فبعد الولادة يجيءالموت، وبعد الموت يجيء البعث، والموت مرحلة بين مرحلتي الولادة والبعث، والولادة تضاد الموت، والموت يضاد البعث، والأول يقود إلى الثاني، والثاني يقود إلى الثالث، والأول لا يقود إلى الثالث مباشرة.

فكل آية تشتمل على نقائض، هذه النقائض يفضي بعضها إلى بعض، وكل أمر فيها هو سبب في حدوث نقيضه، بما يثير حقيقة جدلية الناموس الكوني: حياة وموتا وبعثا.

وهذا الطباق يحمل جملة متناقضات، تبرز فلسفتي التحول والثبات، فلا شيء ثابت، ولا شيء يدوم، بل كل الأحوال متحولة خاضعة للصيرورة. ومع ذلك فهذا التتابع اللفظي، الذي يرتسم في شكل ثنائيات ضدية، إذ يلازمه ترتيب لمغزى الحياة، والموت، والبعث، فإنه يبرز ثبوت نواميس الكون ومقاديره. حيث يمثل هذا التقابل علاقة دلالية وآصرة وجودية.

فهذا الطباق يبرز حقيقة الحياة وسنة الله في كونه وفي خلقه، فالميلاد حتما يعقبه موت، والموت يعقبه بعث. ومن أحيا من العدم، قادر على أن يحيي بالبعث، فالتدرج المتناقض في: ولد، يموت، يبعث حيا، يعيد الدورة والكرة من الحياة بالميلاد، إلى الحياة بالبعث، فيبلور حقيقة الاقتدار الإلهي، ويتماهى مع المقصد الشامل للنص القرآني - توازيا مع خصوصية الأحداث - وهوالإيمان بالخالق، وتوحيده، والإيمان بالبعث والحساب.

وهذا الطباق يختزن توافقا وتماثلا في الأطوار والمدارج الثلاثة: الولادة والموت والبعث، فهذه " الأحوال الثلاثة المذكورة أحوال ابتداء أطوار: طور الورود على الدنيا، وطور الارتحال عنها، وطور الورود على الآخرة " (٥٧)، فهذه الأطوار الثلاثة هي أوليات في الأمور، فالميلاد أول رؤية الدنيا، والموت أول رؤية الآخرة، والبعث أول رؤية الجنة أو النار.

ليختزن هذا الطباق توافقا في حالات الضعف والوحشة والخوف، فهذه " المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله وعظيم الهول " (٥٨)، قيل:" أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم، وأحكاما ليس له بها عهد، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره" (٥٩).

فهذه المواقف المتناقضة هي أشد المواقف عسرا فيما يمر به الإنسان، وأكثرها إفزاعا له فهذه هي " الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها " (٦٠).

ونص الآيتين يحمل هذا التوالي الزمني التصاعدي، عبر الثنائيات الضدية، بما يفوق إبراز معالم الضدية، نظرا لأن هذه الأحداث في حياة يحيى وعيسى، عليهما السلام، قد احتملت درجات متفاوتة من العجائبية، والنزوح عن مألوف سنن الحياة، فهي أحداث خارجة عن النمط، مخالفة للسنة والعادة، حيث يعكس التقابل لونا من التناقض في الصور عن طريق تشكيل الجمل، ليغدو التقابل عنصرا رئيسا في بناء الصورة، التي تقترن بالحياة والحركة.

ويعتمد التقابل الصيغة الفعلية المعبرة عن الأحداث، وسيلة لإظهار هذا القدر من استثنائية الحدث، حيث يستطيع التضاد الفعلي في حركته الأدائية، أن ينافس تلك الأنماط التصويرية المألوفة، إذ يفاجئ بحركته وتدفقه مشاعر المتلقي ويجذبها إلى دائرة الفاعلية والحركة، وحيوية التعاقب والتغير، واستمرارية التدفق والتجدد. فالفعل يستدعي الأضداد لتكوين حركة داخلية تبعث الدلالات الضدية، من خلال إقامة شبكة من العلاقات بين هذه الثنائيات. حيث يتحول الفعل "بقوته البنائية إلى مولد للطاقة التي تمد النص بدفعات متوالية، وتشحنه بالقوة الحركية والتوالدية بدءا من الإيقاع، وانتهاء بالتوليد الغني للعلاقات الداخلية في النص" (٦١)، وهكذا يتخلى الفعل عن دوره مؤشراعلى التحولات الطارئة إلى صانع لهذه التحولات، أي إلى طاقة توليدية لحركة التداعي والاستدعاء والتحول والتفاعل، وما يرافق ذلك من انبثاقات دلالية مفاجئة " (٦٢).

عندئذ تخلق البنية الحركية للنص حالة من المشهدية التي تكرسها واقعية الأحداث: الولادة، الموت، البعث. فتخرج عن كون هذه الحالات وصفا نمطيا قاصرا على الأيام الشاقة في حياة النبيين، واحتياجهما فيها للأمان، حيث يقف المتلقي حيال منظور أكثر شمولية وعمقا وديمومة، إذ يشكل التضاد في بنيتي السلام ثنائيات متشابكة، تومئ وتوحي بما هو أبعد مما يبدوعلى سطحها، فيدعم حقيقة بشرية يحيى وعيسى، وعبوديتهما، لأن من "يمر بهذه الأطوار: الحدوث، ثم الموت، ثم البعث، لا يكون إلها، تعالى الله وتنزه عن الحدوث والتغير والتبدل" (٦٣).

وذلك حيث يرمز انسحاب السلام على النبيين في هذه المواطن الثلاثة إلى الوجود الإلهي، فتبطن المتقابلات اللغوية بقدرة إلهية مطلقة، تمنح الأمان الدائم الثابت، هذا الأمان الذي يتعاقب وجوده في كل مواطن الخوف والخطرو الوحشة، بما فيها من متناقضات جوهرية ميلادا وموتا وبعثا. ليغدو لفظ " السلام " لفظا محوريا تتمفصل عنده الأفعال وتتشابك، مستمدة منه الحركة والتطور والتفاعل، حيث استطاع هذا اللفظ أن يوفر مناخا متكاملا بتضافر التضاد بين الأفعال.

رابعا: ظاهرة العطف

العطف هو لي الشيء والالتفات إليه، يقال عطفت العود إذا ثنيته، وعطفت على الفارس: التفت إليه، وهو بهذا المعنى في النحو " (٦٤).

ويبدو أن اختيار النحاة اصطلاح "العطف" للدلالة على خاصية تعبيرية معينة ترتبط فيها الكلمة أو الجملة التالية بما قبلها عن طريق أداة محددة" [٦٥]، يستند إلى المعنى اللغوي للعطف وهو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، ليأخذوامنه المعنى النحوي الدال على رجوع التابع (المعطوف) على المتبوع (المعطوف عليه) واشتراكه في الحكم" [٦٦].

وقد اعتمد البلاغيون في دراسة مبحث الوصل والفصل على مباحث النحويين في موضوع العطف، حيث إن مراجعة البنية التركيبية لظاهرة الفصل والوصل تجعلنا ندرك أن " حاصل معرفتها يعود إلى معرفة مواضع العطف والاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف مواقعها"[٦٧]، وأن مدار الفصل والوصل.. ترك العاطف وذكره.

وموضوع العطف موضوع قديم، فقد نوه أرسطو بأهمية الوصل في الكلام لدلالته على تماسك بنائه، وقوة رصفه، ووحدة معناه مبينا أن حذف الوصل في بعض الأقوال يؤدي إلى تجزئة النص، وانعدام رونقه، وذهاب حسنه " [٦٨].

ومن هنا تبدو خطورة حروف العطف التي خرج بها البلاغيون عما تؤديه من وظيفة نحوية إلى أمور وراء ذلك، إذ تشكل الجمل بالعطف نصا مترابط الأجزاء على مستوى الدلالة، فأدوات العطف " علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص " [٦٩]، حيث تهدف وسائل التماسك كلها إلى وضوح العلاقة في الجملة، وعدم اللبس في أداء المراد منها، وعدم الخلط بين عناصرها، ومثل ذلك في الجمل، لذا فالتماسك عنصر أصيل في تشكيل النص وتفسيره.

في السلام على يحيى وعيسى، استخدمت الواو في الربط بين الجمل، فتم الربط بين السلامين وما تقدمهما من الكلام، كما تم الربط بين مواطن السلام الثلاثة بالرابط الواو.

والواو- كما تقرر لدى النحاة - هي أصل حروف العطف، أو هي أم الباب كما يقال، وذلك لشيوع استعمالها من جهة، واختصاصها بأمور ليس لغيرها من جهة أخرى. وهي تدل على إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول مطلقا، أو على الاجتماع في الفعل من دون تقييد لحصوله بترتيب أو معية، إذ قد تعطف الشيء على مصاحبه، أو على سابقه، أوعلى لاحقه، فهي على الجملة - عند جمهور النحاة - لمطلق الجمع " [٧٠]، وذلك خلافا لحروف العطف الأخرى " لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني "[٧١].

فالواو تجمع بين المعاني والأحداث المتوافقة والمتضادة في آن، بلا ترتيب، بما يسمح به الاستعمال اللغوي للحرف، وهي أداة العطف التي تناسب الجمع بين أشتات متباعدة دلاليا، وتقوم بالجمع مطلقا بين جمل وعناصر تنتمي إلى حقول دلالية متباينة.

وقد قامت الواو التي تقدمت جملتي السلام بالجمع بين السلامين، بما دلا عليه من دلالة إكرام الله المتمكن من الأحوال الثلاثة المذكورة، وما تقدمهما من ذكر خصال النبيين وفضائلهما.

ويرجح ابن عاشور أن الواو في قوله تعالى:"وسلام عليه يوم ولد ... " معطوفة على قوله تعالى : "وآتيناه الحكم صبيا" فيقول: "الأظهر أنه عطف على "وآتيناه الحكم صبيا" مخاطبا

به المسلمين ليعلموا كرامة يحيى عند الله" [٧٢]، وقوله تعالى: "وآتيناه الحكم صبيا" عطف على جملة القول المحذوفة أي قلنا: يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا" [٧٣]، وهي الجملة التي ابتدئ بها ذكر فضائل يحيى، عليه السلام، ومثل ذلك ما كان من شأن العطف في السلام على عيسى، عليه السلام، إذ ذكر سبحانه خصائصه الجليلة منسوقة بعضها على بعض، فعطف بذكر حفظ الله له وتكريمه إياه في أحواله الثلاثة.

وإذا كان السلامان من جملة منن الله وأفضاله على النبيين، فقد وصل بين السلامين وفضائلهما، التي هي الأخرى من جملة منن الله تعالى وأفضاله، يعقب البقاعي على ذكر فضائل يحيى قائلا: "فهنيئا له ما أعطاه من هذه الخلال القاضية بالكمال"[٧٤].

وقد ألقى هذا العطف بظلال حول الأسباب التي من أجلها نال النبيان أمان الله في كل مواضع الشدة، فكأن ما تقدم جملة السلام من محامد ومناقب النبيين هي دواع وأسباب لما استحقا من كامل الرعاية والأمن، وفي تفسير ابن كثير تعقيبا على فضائل يحيى: "ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك" وسلام عليه يوم ولد ..." [٧٥].

ويعمل هذا الربط بين الجمل، بالإضافة إلى الإحالة بالضمائر، على تشكيل شبكة من العلاقات بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، حيث يتجلى دور العطف، وضمائر الإحالة في إبراز الفاعل والمفعول (الرب والعبد)، فمنذ قوله تعالى في شأن يحيى "يا يحيى خذ الكتاب بقوة" وقوله على لسان عيسى"إني عبد الله آتاني الكتاب"، والآيات تظهرمسيِّرا للأحداث ومسيَّرا، فاعل ومفعول.

حيث ربطت الواو المعاني وأحدثت تماسكا نصيا واضحا، فاستخدم النصان (الآيتان) أداة العطف (الواو) لغرض دلالي، إذ تحقق ربطا معنويا بين الآيتين، وما سبقهما، ليجمع الآيتين وما سبقهما سياق واحد نستطيع أن نضع له عنوانا واحدا وهو: "من الرب على العبد".

أما الواو التي تجمع سلام يوم الولادة بسلام يوم الموت وسلام يوم البعث، فقد أحدثت إلى جانب فكرة الاتصال والاشتراك في الحكم ذاته بين الجمل، نوعا من المفارقة[٧٦]. إذ جمعت بين أيام ثلاثة هي متضادات لتبرز المفارقات والمتناقضات في أحداث الحياة وأيامها، وتنبه إلى خطورة هذه الأيام.

ويرمي هذا الجمع بين هذه المتناقضات إلى إظهار الأحوال البشرية الثلاثة، وهي حال الولادة، وحال الموت، وحال البعث. وهي أحوال مما تتنزه الربوبية عنها وتتعالى عن تحويرها عليه سبحانه. وعلى ذلك فقد حقق العطف بين هذه الأيام الثلاثة ترابطا ترتقي فيه النفس لتعيش أحداث أيام ثلاثة، تفاوتت درجة غرابتها، تستحضر صورتها، فتضع المخلوق العاجز في مرتبة العبودية، وتضع الخالق القادر في مرتبة الربوبية.

وهذه الواو التي تجمع سلام يوم الميلاد بسلام يوم الموت وسلام يوم البعث إذ تؤدي دورا في استمرارية المعاني التي يريد النص تبليغها من جهة، فإنها من جهة أخرى تؤدي دورا في الإيجاز اللغوي الناجم عن حذف كلمة "سلام" في البنية العميقة للسلامين، فبنية العمق في سلام يحيى، عليه السلام، هي: وسلام عليه يوم ولد، وسلام عليه يوم يموت، وسلام عليه يوم

يبعث حيا."، ذلك أن العطف إنما وضع لينوب عن العامل، ويغني عن إعادته، فإن قلت: قام زيد وعمرو، فالواو أغنت عن إعادة (قام)، فقد صارت ترفع كما يرفع قام " [٧٧].

والواو في جمعها بين الأيام الثلاثة، أشربت معنى "ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي، أي وجود مهلة بين قيام الحدث بالمعطوف وقيامه بالمعطوف عليه حيث تدل- بحسب أقوال النحاة - على تأخر ما عطف بها عما عطف عليها، فمما يسترعي الانتباه أن ما بين مولد النبيين، وموتهما، وبعثهما فاصلا زمنيا يستدعي المهلة، كما أن هذه المراحل المتعاقبة تحمل تواليا زمنيا لا يتأتى بحال الإخلال به. وقد ذهب بعض النحاة إلى أن الواو تدل على الترتيب، وممن قال بذلك قطرب والربعي وثعلب وغيرهم، واحتجوا بأن الترتيب في اللفظ يستدعي سببا، والترتيب في الوجود صالح له فوجب الحمل عليه"[٧٨]، ويقول ابن هشام في شأن دلالتها على التراخي"ويجوز أن يكون بين متعاطفيها - الواو- تقارب وتراخ نحو (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)، فإن الرد بعيد إلقائه في اليم والإرسال على رأس أربعين سنة " [٧٩].

استخدام "الواو" نيابة عن "ثم "، في بنيتي السلام، دعم الأحداث، وعمل على إحداث درجة من الانسيابية والاسترسال والتدفق الحدثي في المن الرباني على النبيين، حيث لم يستخدم النص " ثم " تغييبا لإيحائها الخاص بالمهلة والتراخي والبطء، فهذا الجمع الذي أحدثه التعاطف بالواو بين الأيام الثلاثة، تغيا الخطاب منه إظهارا لمتوالية: الولادة /الموت/البعث، دون ثمة ما يؤدي إلى كسر منهجية توالي الأحداث التي أضمر النص من خلالها تنبيها ليوم البعث وما يعقبه من الحساب والجزاء.

وتبقى الإشارة إلى أهمية الدلالة التي يكتسبها السلام على يحيى، عليه السلام، في عطف (يوم يموت) على (يوم ولد)، حيث يتجاوز قوله:"يوم يموت" قانون السياق التاريخي والجوار.

يقول ابن هشام: "يعطف الفعل على الفعل بشرط اتحاد زمانيهما" [٨٠]، وذلك لأن ضم المتماثلات يعد أحد مظاهر الاتساق الجمالي والانسجام المنطقي.

العطف بين صيغتي المتعاطفين المتغايرين تؤشر في هذا السلام إلى قيمة دلالية في المضارع " يموت " حيث إن صيغة المضارع في عطفها على الماضي، ضمن السياق التاريخي، تحمل شحنة هائلة من الاضطراب وعدم الاستقرار في موضعها من السياق، ليكتسب قانون العطف حضورا فاعلا في بنية العدول في الآية، ويضفي على هذه البنية ثراء دلاليا خصبا بما يتيحه للسياق من ثنائية المعطوف عليه/المعدول عنه.

ووفق ما سبق يتبين قدر ما تحدثه أدوات العطف من تماسك وترابط دلالي نصي، وأن هذا الترابط يتجاوز مجرد مجموع المعاني للجمل التي تكون فيه، إذ إن العطف يقوم بصناعة شبكة من العلاقات الأفقية في الجملة، والعلاقات الدلالية الرأسية بين الفقرات في بنية النص.

خامسا: ظاهرة التكرار

التكرار لغة مصدر كرر إذا ردد وأعاد، فالكر: الرجوع، ويقال: كرَّه وكر بنفسه، والكر صدر (كر) عليه يكر كرا وكرورا وتكرارا، ويقال: كرر الشيء تكريرا وتكرارا أعاده مرة بعد

أخرى" [٨١]. ويقول عنه ابن الأثير: " هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا " [٨٢]، ومن ثم فهو إعادة للفظ والمعنى معا.

وقد وافق المحدثون القدامى إلى حد بعيد، في تعريفهم للتكرار، وذهبوا إلى أنه " نمط من أنماط التأليف اللغوي، يقصد به التضخيم والتفخيم والتوكيد " [٨٣]، إضافة إلى العديد من الوظائف ومنها: الإيحاء، وتركيب الصورة، وبناء النص.

التكرار هو لون إلحاح على جهة مهمة من الكلام، يعنى بها النص، حيث يعمل التكرار على لفت الانتباه إلى الدرجة التي تغدو معها المكررات مفاتيح قراءة للنص، لا يمكن إغفالها، وهو من الطاقات الأسلوبية في بنية النص إذ "يمكن للتكرار أن يمارس فعاليته بشكل مباشر، كما أنه من الممكن أن يؤدي إلى ذلك من خلال تقسيم الأحداث والوقائع المتشابكة، إلى عدد من التمفصلات الصغيرة التي تقوم بدورها في عملية الاستحضار" [٨٤].

ويهدف التكرار إلى إحداث لون من التماسك النصي، من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، وذلك عن طريق امتداد عنصر من بداية النص حتى آخره" [٨٥]، حيث يعيننا رصد التكرار على تحليل النص وإدراك طريقة أدائه للدلالة، إذ تأخذ اللفظة المكررة مواقع تعمل من خلالها على تنسيق الدلالة، بحيث يكون هناك اتفاق بين حركتي الذهن والصياغة.

والتكرار من أهم الأساليب القرآنية، يقول ابن قتيبة: " إن التكرار من أساليب القرآن الفعالة والمبينة لمعانيه " [٨٦]. وله صور متعددة في البيان القرآني، حيث يمكن أن يقسم، حسب مستويات التحليل الأسلوبي إلى: تكرار صوتي، وتكرار معجمي (تكرار كلمة)، وتكرار تركيبي (تكرار جملة أو آية بأكملها).

وقد تكرر ذكر آيتي التسليم على يحيى وعيسى، تكرارا مركزيا أقفل المبنى الحكائي لكل منهما في سورة مريم، بما لا يدع مجالا للشك بأنه تكرار مقصود لأغراض دلالية خاصة.

وعلينا أن نرصد جماليات التكرار اللفظي في بنيتي السلام أولا، خلوصا إلى جمالية التكرار التركيبي في الآيتين. حيث يعد التكرار اللفظي أبسط ألوان التكرار التي تعمل على توليد إيقاع نغمي، وتكسب النص حيوية من خلال إعادة العنصر المعجمي، وهو من الظواهر البيانية بارزة الحضور في النص القرآني ويؤدي دورا فاعلا في الأسلوب، إذ إن " تكرار اللفظ يشعر بالحسن والإحكام في الأسلوب " [٨٧].

وقد مس هذا النمط من التكرار المرتكزات الضوئية أو الكلمات المفاتيح في سورة (مريم)، على وجه العموم، وفي بنيتي السلام على يحيى وعيسى، على وجه الخصوص، حيث شكلت المفردات بكتلها المكررة بؤرا نصية محددة للقضية، فمن خلال شبكة المفردات وخيوطها الممتدة داخل النص بدت القضية التي يعالجها النص.

ومع هذا التكرار الذي استحضر مدلولا أصليا، كان النص يستدعي بالمفردة في كل موضع دلالة خاصة، ويضفي عليها معنى بديعا، يزيدها ثراء وتجددا، وذلك كما يبدو فيما يلي:

تكرار لفظ (السلام):

يستهل السلامان على يحيى وعيسى، عليهما السلام، بكلمتي : سلام، السلام، وكلتاهما مكررة في بنية العمق للآيتين، إضافة إلى تكرارهما اللفظي في السورة، ففي قصة إبراهيم عليه السلام "قال سلام عليك سأستغفر لك ربي" [مريم :٤٧]، وهذا السلام من باب التأدب في خطاب إبراهيم لأبيه، وإشعار بالفراق، فهو "سلام توادع ومتاركة" (٨٨)، كما وردت كلمة "سلام" في قوله تعالى :"جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا، لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [مريم :٦١-٦٢]، وقوله :"إلا سلاما استثناء منقطع والسلام إما بمعناه المعروف أي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم ... أو تسليم بعضهم على بعض أو بمعنى الكلام السالم من العيب والنقص أي لكن يسمعون كلاما سالما" (٨٩).

عمل تكرار لفظ السلام-على مستوى السورة- بالتضافر مع تكرار ألفاظ: الرحمن، الرحمة، وهبنا، رضيا (مرضيا)، وذكر لفظي: حنانا، ودا، على إشاعة ظلال الرحمة والأمان والعطاء في جو السورة، وتحميلها بفيض من إحساسات الود، لأن" السلام عبارة عما يحصل به الأمان، ومنه السلامة في النعم وزوال الآفات " (٩٠).

فمع تكرار لفظ " السلام " وما في حقله الدلالي، أعيد انتشار مدلول الرحمة، حيث الظل الغالب على جو السورة هو ظل الرحمة والرضا والاتصال. ومن خلال هذا التكرار تم استيحاء مدلول الربوبية بتضافر مجموعة الدوال المتداخلة التي تعبر عن علاقة قائمة بين الرب وعبيده.

وهذا التكرار على مستوى الآيتين لم يشكل هندسة إيقاعية وحسب، وإنما شكل قاعدة بنائية، إذ جعله النص مرتكزا أساسيا للاحق في الآيتين، فجعل الآيتين على المستوى الدلالي دائرتين في فلك دال السلام ومدلوله. فالتكرار على هذا النحو جاء موظفا لغاية بيانية جمالية، حيث تستحضر الآيتان من خلال لفظي السلام بتكرارهما دلالة الربوبية وما تعنيه من رحمة الرب بالعبد، وحاجة العبد إلى الرب، وكمال الرب جل جلاله في غناه عن كل ما سواه، وفي رحمته وإحسانه لعبيده" (٩١). **تكرار لفظ (يوم)**

تكررت كلمة " يوم " في آيتي السلام، كما تكررت في سورة مريم تكرارا دقيقا منظما، فذكرت في قصة عيسى، عليه السلام، وما لحقها من تعقيبات، كما ذكرت في معرض الحديث عن مشركي قريش، بينما لم ترد كلمة (يوم) في قصة يحيى، إلا في سلام الله عليه، مما يعد تنبيها إلى خطورة أيام عيسى عليه السلام وخصوصيتها.

"واليوم يعبر به عن وقت طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقيل يعبر به عن مدة من الزمن أي مدة كانت، والجمع أيام" (٩٢).

وذكر في أيام ولادة يحيى وعيسى، وموتهما، وبعثهما أحياء ما قاله ابن الأنباري من أنه " (لم يقصد باليوم قصد يوم واحد) لأنه يجوز أن يموت بالليل، وأن لا يولد نهارا، ولكن اليوم يقع على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي " (٩٣)، و إنما قصد باليوم " الحين "، وفي

التصاريف: "وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... "يعني حين ولد، وحين يموت، وحين يبعث حيا" [٩٤]، فالمراد باليوم مطلق الزمان الواقع فيه تلك الأحوال.

وكان من وجوه رعاية النص وعنايته بتلك المفردة أن جعل ظرفيتها تنبيها إلى ظرفية ما يقع فيها من الأمور والأحداث المعتبرة ذات الشأن العظيم في حسابات الأزمان، فتكررت الكلمة في السورة في سياق الحديث عن عيسى، عليه السلام، بحيث غدت مرتكزا ضوئيا برز إشعاعه في النص تأكيدا على خطورة الأحداث في تعلقها بأزمانها ومدى ارتباطها وترتبها على بعضها بعضا، بحيث غدت كلمة "يوم" من أهم الكلمات المفاتيح، أوهي الكلمة البؤرة المشكلة للنسق المهيمن على الحلقات الثلاث :الولادة، الموت، البعث، من جهة، وعلى المقاصد العقيدية، من جهة أخرى. وهذا النوع من التكرار يرتبط بدقة ببناء السورة، ويعكس فاعلية قادرة على جعلها بناء متماسكا، وهو تكرار قادر على إبراز حركة التتابع والتسلسل.

كان من إرهاص النص واهتمامه بظرفية الأحداث أن جعل مبتدأ نبوة عيسى، عليه السلام، يوم صوم لمريم:"إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا"[مريم:٢٦]، كما جعل ختام قصته ذكرا لأيام ثلاثة قيد بها لفظ [السلام].

وفي ذكر هذه الأيام الثلاثة في حياة المسيح، خاصة، ما يحمل في طياته أبعد من كونها أياما ثلاثة يؤمن فيها، عليه السلام، من طعن الشيطان يوم مولده، أو من فتنة القبر ووحشة البرزخ عند موته، أو من الأهوال عند بعثه. لتغدو تحقيقا لعبوديته، فقوله: "(والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم...) " إثبات لعبوديته لله عز وجل، وأنه خلق من خلق الله يحيا ويموت، ويبعث كسائر الخلائق، ولكن السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد" [٩٥]. تتعالق هذه الأيام بيوم بعث عيسى رسولا، ويوم آخر ناجم عنها مرتب عليها، وهو يوم الحساب والجزاء، حيث يرد لفظ (يوم) مرددا في قوله تعالى: "أسمع بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" [٩٦][39-38] . لتختم هذه المنظومة المتعالقة بفعل الكلمة المفتاح "يوم"، في قوله تعالى: "وقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا، لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا، إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا، لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا" [88-95].

إن القيمة الأسلوبية لتكرار زمنية "يوم" تتجسد في سورة مريم، بقيم شحن تعبيرية أسبغتها على السورة غايتها التنبيه، لتغدو هذه التكرارية إنذارا ووعيدا، حيث أدى التكرار دوره في الإيجاز فأدى إلى "الترسيخ والتقرير والإقناع، وهذا الأسلوب بلا شك أقوى أنواع الاستدلال النفسي وأدعاها إلى اليقين، وأشدها إيحاء بالحسم والجد كما انتهت إليه الدراسات النفسية" [٩٧].

وعلى ذلك فزمنية كلمة "يوم" تأتي في بنية السلام على عيسى، برهانا وحجة يحاج بها من أنزل عيسى، عليه السلام، في غير منزلة العبودية ليأتي ذلك حسرة عليه يوم القيامة، فتكرار كلمة" يوم "على ذلك هو تكرار الدال والمدلول على مستوى الآية، ارتباطا بسائر الآيات، بحيث

يغدو استعمال دال عدة مرات على مستوى النص إنتاجا دلاليا لا يحدث في غياب عملية التكرار، وهي من أهم عمليات البحث التركيبي لترتيب الكلمات وتواشجها.

تكرارية ألفاظ: الولادة، الموت، البعث

تكررت هذه الألفاظ الثلاثة، في آيتي السلام على يحيى وعيسى، تكرارا يؤدي إلى إيقاظ ذهن المتلقي وتنبيهه، وشحن الآيتين بطاقة دلالية، حيث تتحرك الآيتان في إطار فضاء من الثنائيات المشكلة، بما تستدعي إلى فضائها من جملة الدلالات، حيث يؤدي تكرار الثنائيات دوره في كثافة الدلالات وتنوعها وتجاوزها لمحدودية المعنى، وتعميق التصورات الثنائية بين الثابت والمتحول. إذ أدت هذه الثنائيات الضدية دورا في إبراز فاعلية الأحداث من خلال ازدياد حدة التوتر والصراع بينها في الآيتين، "ومثل هذه الكلمات المكررة تصبح مفتاح القراءة إذ تتحول - تصويرا وتخييلا- إلى تشكيل تصويري مفارق لمحدودية التجريد اللفظي " [٩٨].

تكررت مادة (ولد) عناية بحدث الولادة، ومايبرزه في قصتي عيسى ويحيى، من طلاقة المشيئة والقدرة الإلهية، وما يسفر عنه الحدث من كون المولود خلقا من خلق الله، شاءت إرادته أن يوجد فوجد، حيث تم الربط بين هذا الحدث في سياق السلامين وما يتصل به من المادة "والد"، "ولد"، مكررا في الآيات :"وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا" [آية:١٤]: "وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا" [أية:٣٢]، مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" [الآيتان:٣٥-٣٦]، "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئا إدا. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا. و ما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا" [الآيات: ٨٨-٩٢].

يقول ابن فارس: " والد: الواو واللام والدال: أصل صحيح، وهو دليل النجل والنسل... وتولد الشيء عن الشيء حصل عنه" [٩٩]، وفي المفردات " ولد: الولد المولود " [١٠٠].

هذه التكرارية تسعى إلى الربط ربطا أسلوبيا أفقيا مقارنا بين كون عيسى ويحيى "ولدا"، وأن الله سبحانه "لم يولد"، لتدرك بشريتهما (ولاسيما بشرية المسيح) إلى ألوهية الخالق، إذ كل ما يتصف به الذي "لم يولد" [١٠١]، يتصف بنقيضه الذي "ولد". فتكرار مادة (ولد) جاء في مواطن التقرير والإقناع بعبودية الوالد والمولود المخلوقين وربوبية الخالق الذي لم يلد ولم يولد، لتنسجم تكراريتها في الآيات مع محور التوحيد، ونفي الولد والشريك الذي تركز عليه السورة.

أما حدث الموت فقد كرر في بنيتي السلام، كما كرر في سورة مريم "قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا" [آية:٢٣]، "وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا" [آية:٦٦] .

والموت انقطاع الحياة بخروج الروح من الجسد، فهو يعني إخراج الروح وانهاء الحياة الدنيوية. حيث يمكن اعتبار حدث الموت في دعاء مريم تأكيدا لبشرية مريم، وفي بنية السلام ترسيخا لعبودية المسيح وبشريته، "فله إذن حياة محدودة ذات أمد، وهو يموت ويبعث كسائر الخلائق" [١٠٢]، كما تشير الكلمة إلى كون المسيح (يموت) أي أنه لم يصلب ولم يقتل. وتثير كلمة (يموت) في بنية السلام على يحيى، دلالة أن قضاءه لم يكن، على الأرجح، قتلا، وذلك حيث يستعمل النص القرآني كلمتي: موت وقتل ويفرق بينهما، يقول أبو هلال العسكري: "القتل هو

نقص البنية الحيوانية ولا يقال له: قتل في أكثر الحال إلا إذا كان من فعل آدمي، وقال بعضهم: القتل إماتة الحركة، ومنه يقال ناقة مقتلة إذا كثر عليها الإتعاب حتى تموت حركتها، والموت عرض أيضا يضاد الحياة مضادة القتل، ولا يكون إلا من فعل الله . . .، والموت ينفي الحياة مع سلامة البنية ولا بد في القتل من انتقاص البنية" (١٠٣).

تنسجم دلالة الموت مع دلالات مادة "س ل م" التي فيها معنى السلامة والأمان والنقص من العيوب والأضرار، وفي اللسان "سلم: السلام والسلامة: البراءة ... السلامة العافية ... وكانت العرب في الجاهلية يحيون بأن يقول أحدهم لصاحبه أنعم صباحا، وأبيت اللعن، ويقولون: سلام عليكم، فكأنه علامة المسالمة وأنه لا حرب هناك ... وقد يجوز أن يكون السلام جمع سلامة. والسلام: التحية ... وقيل: السلام والتحية معناهما واحد، ومعناهما السلامة من جميع الآفات ... وقيل: السلام أمان الله في الأرض" (١٠٤). قال الزجاج: "ومعنى السلام الذي هو مصدر سلمت، أنه دعاء للإنسان أن يسلم من الآفات في دينه ونفسه وماله، وتأويله التخلص من المكروه" (١٠٥)، وفي مفردات الأصفهاني: "سلم: السلم والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة" (١٠٦).

فإذا كان السلام يعني الأمان، والعافية، والبراءة، وأنه لا حرب هناك، وهو السلامة من الآفات في الدين والنفس والمال، والتعري من الآفات الظاهرة والباطنة. وإذا كان الموت يضاد القتل، كون الموت خروجا للروح يتبعه سلب للجسد، والثاني تحطيم وعاء الروح وهو الجسد بما يؤدي إلى إزهاق الروح. ففي هذا ترجيح حمل قضاء يحيى على كونه موتا وليس قتلا.

أما حدث البعث، فهو المحطة الأخيرة في تتابعية الخالق والمخلوق، الرب والعبد. حيث تتعالق قضية بعث عيسى، عليه السلام، مباشرة بقضية بشريته ونبوته، ونفي صفة الألوهية عنه. يبعث عليه السلام، فيسأل عن أمر رسالته، ويقر بربوبية خالقه ووحدانيته، ويثبت له كمال العلم والمقدرة، ويبرهن على تمام طاعته وخضوعه، وهو مقصود سورة مريم "إذ يدور سياق هذه السورة على محور التوحيد ونفي الولد والشريك ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد. . هذا هو الموضوع الأساس الذي تعالجه السورة"(١٠٧).

"ويوم أبعث حيا" وجه السلام فيها أنه عليه السلام نوقش في الدنيا وبرئت ساحته. و"ليس هناك من الرسل من سيسأل هذه الأسئلة، ويناقش هذه المناقشة التي نوقشها عيسى في الدنيا" (١٠٨).

قيد يوم بعث يحيى وعيسى بالسلام، لأن السلام فيه آكد من جميع ما قبله، فإن عطب هذا اليوم لا يستدرك، وعثرته لا تقال.

وقد تم الربط بين خصوصية بعثهما، عليهما السلام، وعمومية البعث المقابل بالإنكار، بالتكرار المعنوي لأمر البعث في السورة بقوله تعالى "ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا"، إذ تأتي الآية في معرض مخاطبة من يشك بالبعث، لتلتئم أطراف قضية البعث وتتحدد.

تكرارية آيتي السلام

تكررت آيتا التسليم، على مستوى الجملة (التركيب) تكرارا غرضه العام إثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصور المستحضرة، وما تحدثه هذه الصور من الدهشة والمفاجأة، حيث يسعى

المتلقي إلى إحداث لون من الربط بين النص والمكررات، إذ يؤدي هذا التكرار إلى خلق كم من الدلالات، ويوجه إلى تقاطع المحاور وتحركها، وتآلفها وتخالفها. وتشكل الجمل المكررة محورا مركزيا ينتج الصراعات، ويوجه إلى شواغل النص، ويستغنى به عن الإفصاح المباشر.

يسعى التكراروالتوازي في قصتي يحيى وعيسى إلى إبراز وجوه التوافق والتباين بين النبيين لاسيما في الأحداث الثلاثة: الولادة / الموت / البعث. وهذا التكرار إذ يبدأ من دائرة الرعاية والتكريم، فإنه ينتهي بالمتلقي إلى إدراك تميز السلام على المسيح، عليه السلام، وخصوصية أحواله الثلاثة: الولادة والموت والبعث. بحيث يمكن اعتبار سلام الله على يحيى توطئة للسلام التام الأكمل على عيسى، عليه السلام.

سادسا: الظاهرة الصوتية

تنهض الظاهرة الصوتية بدور فاعل في الدراسات الأسلوبية، حيث يمتد دور المستوى الصوتي للنص إلى فهم طبيعته، وإبراز جوانب الجمال فيه، إضافة إلى دوره المتمثل في الكشف عن الانفعالات النفسية، والدفقات الشعورية. ويمكننا رصد ذلك في بنيتي السلام، من خلال متابعة مظهرين إيقاعيين وهما: إيقاع المقطع الصوتي، وإيقاع التنكير والتعريف.

(١) إيقاع المقطع الصوتي

المقطع هو مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي. فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يعبر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت وحركة" [١٠٩]. وللمقاطع أهمية كبيرة في الكلام لأن المتكلمين " لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع " [١١٠].

يتماثل سلاما يحيى وعيسى، عليهما السلام، في عدد المقاطع الصوتية، إذ تتألف بنيتا التسليم عليهما من ستة وعشرين مقطعا صوتيا، وتكاد كل بنية أن تماثل الأخرى في نوع المقاطع، فالسلام على يحيى يتكون من ثلاثة مقاطع مفتوحة، وسبعة مغلقة، وستة عشر مقطعا قصيرا مفتوحا. ويتألف السلام على عيسى من ثلاثة مقاطع مفتوحة، وثمانية مغلقة، وخمسة عشر مقطعا قصيرا مفتوحا.

حيث أدى المقطع المفتوح دوره في كلمات: سلام / السلام، يموت / أموت، حيا/ حيا، من خلال مضاعفة وضوح أصوات الكلمات، ليكشف هذا المقطع عن المدى اللامحدود لقدرة الله فهي قدرة متطاولة لا تضاهيها قدرة البشر، ومن ثم فطول صوت المد جاء ليرمز بموسيقى اللفظ إلى امتداد القدرة الربانية، التي لا يقف دونها حائل، من خلال المدى الزمني الممتد الذي استغرقه صوت المطلقين الألف والواو.

حيث أشاعت أصوات المد في المقطع المفتوح جوا من الجلال والتعظيم، وأبرزت الأثرالتعظيمي للقدرة الإلهية فأضفت مزيدا من الهيبة والوقار على صانع الأحداث ومسيرها، كما عملت على إشاعة لون من السكينة والهدوء من خلال لفظ (السلام).

كما عبر المطلقان (الألف والواو) عن حالة التعجب والاستبعاد لحالات: السلام، الموت، البعث. حيث يؤدي صوت المد أحيانا دورا إذ يعكس حالة من استبعاد حصول الشيء، وعدم إمكانية حدوثه. فحالة السلام وحدثا الموت والبعث، في ظن بعضهم، أمور بعيدة الحصول كبعد صوت المد في النطق.

أما المقطع المغلق فقد أدى دورا واضحا في نقل دلالات مغايرة لما سبقه أو ما سيتلوه، وأسهم في إسباغ حالة من الحدة والشدة والتأكيد.

وبدا هذا المقطع محدد الدور، واضح الدلالة، في لفظ (السلام)على عيسى، حيث كشف هذا المقطع عن تأكيد السلام على عيسى، بما يقطع بعدم تعرضه للأذى في الأحداث الثلاثة، التي يتعرض فيها لأشد المواقف صعوبة، وأكثرها خطرا وحرجا. كما برز دور هذا المقطع وما يعكسه من الحزم والتأكيد في حدث ولادة المسيح (ولدت)، وذلك بالضغط على حرف الدال الذي عكس ملابسات الحدث، وما أحاط به من العناد والاستكبار، وأظهر ظلالا من الشك والريبة أحاطت بميلاد المسيح الذي ولد لغير أب، إضافة إلى تأكيده وتشديده على بشريته، عليه السلام. كما كشف هذا المقطع عن خطورة دلالات الألفاظ: يوم، يبعث، أبعث، حيا.

أما انتشار المقاطع القصيرة في الآيتين فقد أسهم في زيادة حدة الانتباه وإثارة الأسماع "بحكم وضوح المقطع القصير وبساطة تكوينه، بالإضافة إلى حركته الإيقاعية البارزة والمثيرة للانتباه لبنائه على صورة واحد صامت + صائت قصير" (١١١)، حيث أدى هذا المقطع دوره، فرسم حركة دورة البشرية، إذ تناغم هذا المقطع في سرعته مع حالات الحياة والموت والبعث. ساعد على بروز دور المقاطع، ذلك التوزيع الإيقاعي البديع لصوتي الذلق اللام والميم وانتشارهما، وأصوات الذلق أخف الحروف على اللسان، وهي "أوضح الأصوات الصامتة في السمع ويسميها البعض أشباه الأصوات الصائتة" (١١٢)، لأنها تشبه الصوائت في الوضوح السمعي. أضف إلى ذلك كثرة الفتحات التي توقفنا على أمر عظيم بما تدل عليه من العظم.

(أ) إيقاع التنكير والتعريف

تحمل الكلمة المنكرة بإيحاءات معنوية نظرا لغناها بدلالات الإطلاق، حيث يسمح التنكير بالانطلاق إلى آفاق واسعة، وهو ما يخلف شعورا عميقا بالكلية، ويضفي نوعا من الغموض والتعظيم، يضاف إلى ذلك ما ينجم عن تنوين النكرة من الرنين. بينما يعمل التعريف على إبقاء الكلمة ضمن إطار، ويشد المتلقي إلى أرض الواقع، إذ يحصر المدركات، أماعلى الصعيد الدلالي، فإن التعريف يحرم الكلمة من التنوين مما يحدد حركتها، "ولكن إذا تناوب تواجده في النص مع تواجد التنكير ولد إيقاعا يتميز بالحيوية والنشاط، إذ ينشأ عندئذ نوع من التجاذب والتنافر أو نوع من الصراع بين تحديد التعريف، وإطلاق التنكير يغني الحركة الإيقاعية وينميها " (١١٣).

ففي تكرار لفظي السلام تنكيرا وتعريفا ما يعكس امتداد القدرة الإلهية وتناهيها. حيث حمل تنكير الكلمة وما يثير من دلالات الإطلاق دلائل التعظيم، بينما قيد سلام المسيح على نفسه وحدد بالتعريف المراد منه الاستغراق والشمول، ما يعني كون جنس السلام كله عليه خاصة.

الخاتمة

مجمل القول، إنه من خلال الدراسة الأسلوبية لبنيتي السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، في سورة مريم، أمكن الوصول إلى عدد من النتائج ومنها:

١. عبر دراسة تلك الملامح الأسلوبية التي شكلت بنيتي السلام على يحيى وعيسى، عليهما السلام، في سورة مريم أمكن تبين قدر ما تحتوي الآيتان من الانحرافات التي تستدعي النظر وتثير الاهتمام، وتدفع إلى البحث في أسباب العدول عن المعياري والمألوف والمتواضع عليه في اللغة.

٢. تعددت عناصرالأسلوبية في الآيتين وتباينت ما بين بلاغة الكناية، والالتفات، والتعريف والتنكير، والبناء للمفعول، والطباق، والعطف، والتكرار، إضافة إلى عنصر الإيقاع وما يفيض به من وجوه الإيحاء والدلالة.

٣. أمكن متابعة هذه الظواهر الأسلوبية التي تعتمل في فضاء النصين (الآيتين) لإنتاج الصورة ونقل الأحداث، وتجسيدها على أرض الواقع، حية مباشرة، تنظرها العين ويتأملها الخاطر، إذ تتضافر هذه الظواهر بتلك الكيفية لتدفع بالمتلقي إلى الإقرار بما يسعى نص سورة مريم بأسره إلى تحقيقه وهو قضية التوحيد.

٤. وفق ما سبق يمكن القول بأن النص القرآني خير نموذج تطبيقي للأسلوبيات الحديثة.

الإحالات

(١) في منهجيات الدراسة الأسلوبية ، محمد الهادي الطرابلسي ، في أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية ، تونس ، مركز الأبحاث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، ١٩٧٨م .
(٢) لسان العرب ، ابن منظور : ٥٥٢/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
(٣) الأسلوب والأسلوبية ، عبد السلام المسدي : ١٠٢ ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط٢ ، ١٩٨٢م .
(٤) مجاز القرآن ، أبوعبيدة معمربن المثنى : ١٨/١-١٩، علق عليه محيي الدين فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م .
(٥) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني : ٢٠٠ ، قراءة و تعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشرو التوزيع ، القاهرة ، د ت .
(٦) لسان العرب ، ابن منظور : مادة " كنى ".
(٧) دلائل الإعجاز : ٦٦ .
(٨) البلاغة العربية (قراءة أخرى) ، محمد عبد المطلب : ١٨٨/١٨٧ ، مكتبة لبنان ، د . ط .
(٩) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٤٥٦ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٤٩م.
(١٠) دروس البلاغة العربية ، الأزهر الزناد : ٨٧ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ م .
(١١) تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور : ٧٨/١٦ ، الدار التونسية للنشر ، ١٨٨٤ م .
(١٢) السابق : ١٠١/١٦ .
(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، الألوسي : ٧٣/١٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان . وفي زهرة التفاسير " السلام هو الأمن " : ٤٦١٩ ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م.
(١٤) تفسير البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي : ٥/ ٢٢٢، دار طيبة للنشر و التوزيع ، الرياض .
(١٥) التحرير و التنوير : ١٦/ ٧٧ .
(١٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري : ٢٥/١-٢٧ ، مطبعة الديوان ، بغداد، ط٢ ، ١٩٩٠ م .
(١٧) كتاب الطراز ، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي : ١٨٠ ، مراجعة وضبط وتحقيق محمد عبد السلام شاهين ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م.
(١٨) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله بن الأثير: ١٩٨/٢ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر ، ١٩٣٩ م .
(١٩) تفسيرالكشاف ، الزمخشري : ٦٣٦/١٦ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٣، ٢٠٠٩ م .
(٢٠) السابق : ٦٣٦/١٦ .
(٢١) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، صلاح فضل : ٢١١ ، دار غريب ، ١٩٩٨م .
(٢٢) البيت من الرجز ، و هو رؤبة بن العجاج . مادة (ل ف ت) .
(٢٣) كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مادة (ل ف ت) :٨ /٢٢١، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ م .
(٢٤) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٣١٤/٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دمشق ، سوريا، ١٩٨٣م.
(٢٥) بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ، محمد عبد المطلب : ٥٩ ، طبعة ١٩٨٨م.
(٢٦) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب : ٢٠٤-٢٠٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م.
(٢٧) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : ٤٨٠/١ ، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٩٩٦ م .
(٢٨) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي: ١١٩، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٣٧ م.
(٢٩) تحولات البنية في البلاغة العربية، أسامة البحيري: ٣٢٣، دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ نقلا عن اللغة: ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.
(٣٠) التحرير والتنوير : ٧٨/١٦ -٧٧ .
(٣١) المثل السائر : ١٤/٢ .
(٣٢) السابق : ١٧/٢ .
(٣٣) مواهب الفتاح (مطبوع ضمن شرح التلخيص لابن بعقوب المغربي) : ١٣٥/٣ ، مكة المكرمة ، دار الباز .
(٣٤) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، برهان الدين البقاعي : ١٨٠/١٦ دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

(٣٥) كتاب الطراز : ٢٠٨ .
(٣٦) السابق : ٢٠٨ .
(٣٧) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي : ١٨٨/١ ، دار البحوث العلمية الكويتية ، ١٩٧٥م.
(٣٨) من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي : ١٠٢ ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، مارس ، ٢٠٠٥م.
(٣٩) التفسير البسيط ، أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الواحدي : ٢١٠/١٤ ، تحقيق د. محمد بن عبد الله الفوزان ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سلسلة الرسائل الجامعية) .
(٤٠) من أسرار التعبير في القرآن ، عبد الفتاح لاشين: ٢٤-٢٥ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٨٣م.
(٤١) كتاب الطراز : ٢٨١ .
(٤٢) القصص القرآني ، صلاح الخالدي : ١٥٢/٤ ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
(٤٣) التفسير الكبير ، محمد الرازي فخر الدين : ٢١٧/٢١ ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١ ،١٩٨١ م .
(٤٤) روح المعاني : ٩٠/١٦ .
(٤٥) التحرير والتنوير : ١٠٠/١٦-١٠١ .
(٤٦) الكشاف : ٦٣٦/١٦ .
(٤٧) من أسرار التعبير القرآني : ٢٨ .
(٤٨) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :٢٨، مطبعة علي صبيح و أولاده ، مصر ، ١٩٦١ م .
(٤٩) النحو الوافي ، عباس حسن : ٢ /٩٧ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٢، ١٩٩٥ م .
(٥٠) نحو القلوب الكبير ، القشيري : ٦٩ ، تحقيق إبراهيم بسيوني ، وأحمد علم الدين الجندي ، عالم الفكر ، ١٩٩٤م.
(٥١) المحتسب ، ابن جني : ١٣٥/١ ، تحقيق على النجدي ورفاقه ، طبعة مصر ، ١٩٦٦م .
(٥٢) حاشية الشهاب الخفاجي (عناية القاضي و كفاية الراضي) :٥ / ١٠٢ ، دار صادر بيروت .
(٥٣) الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية ، أيمن عبد الرزاق الشوا : ٢٣٧ ، طبع دمشق ،٢٠٠٧ م .
(٥٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني : ٤٨ ، دار الغرب الإسلامي ، ط٣ ، ١٩٨٦ م.
(٥٥) المنزع البديع في أساليب البديع ، محمد السجلماسي : ٣٧٤ ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٠ م.
(٥٦) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي : ٣٢٠ ، بيروت ، دار الكتب العلمية (د.ت) ، يقول عبد الفتاح لاشين : " اجتماع الضدين من الحلى البديعية الذي سماه البلاغيون ، الطباق ، لأن المتكلم طابق بين الضدين " البديع في ضوء أساليب القرآن : ٢٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣ ، ١٩٨٦م.
(٥٧) التحرير والتنوير : ٧٨/١٦ .
(٥٨) المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي :١٢٢٠ ، دار ابن حزم ، مصر .
(٥٩) التفسير البسيط : ٢١٠/١٤ .
(٦٠) تفسير الإمامين الجليلين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي : ٣٩٧ ، دار التراث العربى للطباعة والنشر .
(٦١) مسار التحولات (قراءة في شعر أدونيس) ، أسيمة درويش : ٢٣٩ ،مكتبة النقد الأدبي، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ م.
(٦٢) السابق : ١٤٥ .
(٦٣) التوحيد والتنزيه في سورة مريم ، عبد الحميد محمود طهماز : ٤٦ ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٠ م.
(٦٤) اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء العكبري : ٤١٦/١ ، تحقيق غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٩٩٥م.
(٦٥) جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، محمد عبد المطلب ، ط١ ، ١٩٩٥م.
(٦٦) بلاغة العطف في القرآن الكريم ، عفت الشرقاوي : ٥١-٥٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م.
(٦٧) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي : ١٩٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٢ م.
(٦٨) الخطابة ، أرسطاطاليس ، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي : ٢٣٢ ، الناشر ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م.
(٦٩) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد: ٣٧، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م
(٧٠) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ١٨٥/٣، عني بتصحيحه محمد بدر الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان. وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين بن هشام : ٣٤٣ ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٨ م.
(٧١) دلائل الإعجاز : ٢٤١ .

(٧٢) التحرير والتنوير : ٧٧/١٦ .
(٧٣) السابق : ٧٦/١٦ .
(٧٤) نظم الدرر : ١٧٩/١٢-١٨٠ . وفى ظلال القرآن ، سيد قطب: ٢٣٠٤/٤ " فهذه هي المؤهلات التي زوده الله بها وأعده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه " دار الشروق ، ط٣٢، ٢٠٠٣ م .
(٧٥) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير : ٢١٧/٥ ، دار طيبة ، ط٢، الرياض ، ١٩٩٩ م.
(٧٦) يقوم نمط مفارقة التقابل على موقفين متضاربين ومتضادين تماما ، ينبني كل موقف على تدعيم نفسه بالحجة والقصدية البليغة . حيث تثير تلك المفارقة الذهن ، وتسيطر على النفس ، وتذهب بالخيال إلى أبعد الحدود ، وتسر الخاطر لذلك التقابل بين الموقفين على طرفي نقيض " فضاءات شعرية دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل ، سامح رواشدة : ٢٥-٢٦ ، المركز القومي ، الأردن ، ١٩٩٩م.
(٧٧) الأصول في النحو ، ابن السراج : ٦٩/٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م.
(٧٨) همع الهوامع : ١٢٩/١، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان . وفي كتاب منازل الرؤيا منهج تكاملي في قراءة النص يقول مؤلفه سمير شريف استيتية: " فللواو وظائف غير مطلق الجمع ، كوظيفة التنويع والمخالفة والتفصيل والترتيب " :١٥٠ ، عمان ، الأردن ، دار وائل ، ط١ ، ٢٠٠٣ م.
(٧٩) مغني اللبيب : ٣٥٤/٢ ، دار الفكر ،ط١ ، ١٩٩٨ م
(٨٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن جمال الدين بن هشام الأنصاري : ٢٧٥/٣ ، تحقيق محمود مصطفى حلاوي ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٩٩٨م.
(٨١) لسان العرب : ٣٩٠/٥ .
(٨٢) المثل السائر ، ابن الاثير : ١٥٧/٢ .
(٨٣) الخطاب النفسي في القرآن الكريم ، كريم حسين ناصح الخالدي : ٢٠٩ ،ط١ ، ٢٠٠٧م .
(٨٤) بلاغة الخطاب و علم النص ، صلاح فضل : ٢٦٤ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .
(٨٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي: ٢-١٧، دار قباء، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
(٨٦) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة :٢٣، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
(٨٧) دراسات قرآنية ، أحمد عبد الغفار:١٥٠ -١٥١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ،٢٠٠٠م .
(٨٨) التفسير الكبير : ٢١/ ٢٢٨ . وفي قاموس القرآن، الدامغاني :٢٤٦، دار العلم للملايين، بيروت " سلام عليك سأستغفر لك ربي " "يعني خير " فسلام إبراهيم مقصود به الخير.
(٨٩) روح المعاني: ١٦ / ١١٢.
(٩٠) التفسير الكبير: ٢١- ٢١٦.
(٩١) التوحيد والتنزيه في سورة مريم، عبد الحميد محمود طهماز: ١١، ط١، ١٩٩٠م.
(٩٢) بصائر ذوي التمييز : ٥ / ٤١٣.
(٩٣) التفسير البسيط : ١٤ /٢١٠ .
(٩٤) التصاريف ، يحيى بن سلام :٤٢٣/٤٢٢، تحقيق هند شلبي ، مؤسسة آل البيت ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٨ م .
(٩٥) تفسير ابن كثير:٥/ ٢٢٠ .
(٩٦) في التحرير و التنوير : ١٠٧/١٦ "أسمع بهم و أبصر" و ضمير الغائبين عائد إلى الذين كفروا ، أي أعجب بحالهم يومئذ من نصارى وعبدة الأصنام ".
(٩٧) التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن : ١/ ٦٨ ، دارالمعارف ، مصر ، ١٩٦٢ م .
(٩٨) القول الشعري ، منظورات معاصرة ، رجاء عيد : ١٥٢، منشأة المعارف ، مصر ،ط١، ٢٠٠٠
(٩٩) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس: مادة (ولد) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .
(١٠٠) المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني : كتاب الواو ، مكتبة نزار مصطفى الباز .
(١٠١) في "الميزان في تفسير القرآن" : ٤٤٩/٢ " لم يولد لأن تولد شيء من شيءلا يتم إلا مع حاجة من المتولد إلى ما ولد منه في وجوده وهو سبحانه صمد لا حاجة له" محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلى ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م.
(١٠٢) في ظلال القرآن ١٦/ ٢٣٠٨، وفي الأساس في التفسير:٢٣٦٥"وأنه مخلوق مأمور، وهو خلق من خلق الله الذي يحيي ويميت، كما أنه يبعث كسائر الخلائق"، دار السلام، ط١، ١٩٨٥م.
(١٠٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٠٤، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ،١٩٩٨ م.
(١٠٤) لسان العرب: مادة س ل م.
(١٠٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٢٧٧/٢، القاهرة، ١٩٧٣م. " ومقصود العبد من الحياة إنما يحصل بشيئين: بسلامته من الشر، وحصول الخير، و (السلام) ينتظم هذين الأصلين " من أسرار التعبير في القرآن: ٣٠.
(١٠٦) المفردات ، كتاب السين : ٣٠ .

(١٠٧) في ظلال القرآن : ٢٢٩٩/١٦ .
(١٠٨) تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي :١٥ / ٩٠٧٧ ،نشر أخبار اليوم ، ١٩٩١ م .
(١٠٩) المنهج الصوتي للبنية العربية ، عبد الصبور شاهين : ٣٣، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠م .
(١١٠) دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر : ٢٣٨، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١، ١٩٧٦م
(١١١) هندسة المقاطع الصوتية و موسيقى الشعر العربي ، عبد القادر عبد الجليل :٣٠ ، دار صفاء ، عمان ، ١٩٨٩م .
(١١٢) الأصوات اللغوية ، عبد القادرعبد الجليل : ١٧٣، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط١٩٩٧،١ م .
(١١٣) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي ، ابتسام أحمد حمدان : ٢٣١ ، ط١ ، ١٩٩٧ م .